الباب الثالث

آراء العلماء في تفسير الكشاف

اتفق المفسرون على أن الزمخشري هو الإمام العالم فى تفسير القرآن الكريم، كذلك أهل اللغة والبلاغة والنحو والاصول له كتاب التفسير المشهور عند العلماء اسمه الكشاف وأكثر العلماء جعلوا هذا التفسير مصادر فى بحوثهم سواء كانوا متقدمين او متأخرين. وأكثرهم يقولون عن هذا التفسير وصاحبه على نظرتين مدحية ونقدية. فوضعت رأيين من العلماء على فى هذا البحث.

الفصل الأول : الأراء المادحة لتفسير الكشاف

فى هذا الفصل جمعت كل الكلام المادحة لتفسير الكشاف خاصة، وأكثر الأراء انما يأتى بالمادحة فقط وبعضهم يأتى بالانتقاد بعد الثناء ولكن أقل. وأما من أقوالهم لتفسير الكشاف فيما يلى :

1. **وقال الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي فى كتابه تعريف الدارسين بمناهج المفسرين :**

ولما فرغ الزمخشري من تفسيره أطلق عليه اسما دالا على منهجه وطبيعته، هو : (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل).

وأعجب به جدا ومدحه ببيتين عجيبتين قال :

إن التفاسير فى الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وهو فى هذا يستخدم فن (الجناس) والزمخشري موهب فى استخدام فن الجناس كما لا حظنا من أبياته الشعرية السابقة وذلك فى قوله : " الكشاف كالشافي " أي : الكشاف هو الشافي من الجهل.

و (الكشاف) : مبالغة من الكشف عن لطائف القرآن البيانية والبلاغية.

والزمخشري لا يريد من كشافه أن يكشف عن المعانى الظاهرة، وإنما المعانى البعيدة، والحقائق الغامضة : (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ".

وهو فى كشافه يريد أن يذكر " عيون الأقاويل "، ويختار أفضل وأنفس تلك الأقوال، المتعلقة بوجوه تأويل القرآن : " فى وجوه التأويل ".

ولا ننس الجمال بين عيون الأقاويل ووجوه التأويل، فالعيون إنما تكون فى الوجوه، فالزمخشري كان مبدعا فى تفسيره، وموهوبا فى إختياره لاسم ذلك التفسير[1].

2. وقال الذهبي فى كتابه التفسير والمفسرون :

ليس عجيبا أن يكون الكشاف كذلك وهو أول كتاب فى التفسير كشف لنا على سر بلاغة القرآن وأبان لنا وجوه إعجازه، وأوضح لنا عن دقة المعنى الذى يفهم من التركيب اللفظى، كل هذا فى قالب أدبى رائع، وصوغ إنشائى بديع، لا يتفق لغير الزمخشرى إمام اللغة وسلطان المفسرين، وإذا كان الزمخشرى قد تأثر فى تفسيره بعقيدته الاعتزالية فمال بالألفاظ القرآنية إلى المعانى التى تشهد لمذهبه، أو تأولها بحيث لا تتنافى معه على الأقل، فإنه فى محاولته هذه قد برهن بحق على براعته وقوة ذهنه، وصور لنا مقدار ما كان من التأثر والتأثير بين التفسير وهوى العقيدة، وما كان لنا

---

[1]. *تعريف الدارسين بمناهج المفسرين*لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دمشق : دار القلم (1429هـ) ج 1 ص 541-542.

بعد هذا كله أن نغض الطرف عن هذا التفسير، تأثرا بمذهبنا السنى، كراهة لمذهب المعتزلة، وبخاصة بعدما هو ثابت وواقع من ثناء كثير من علماء أهل السنة عليه فيما عدا ناحيته الاعتزالية واعتماد معظم مفسريهم عليه وأخذهم منه.

فالكشاف والحق يقال قد بلغ فى نجاحه مبلغا عظيما، ليس فقط لأنه لا يمكن الاستغناء عنه فى بيان الأقوال الكثيرة لقدماء المعتزلة، بل لأنه استطاع أيضا أن يكون معترفا به من الأصدقاء والخصوم على السواء ككتاب أساس للتفسير، وأن يأخذ طابعا شعبيا يغرى الكل ويتسع للجميع.

وكما اعتبرنا تفسير الطبرى ممثلا للقمة العالية فى التفسير بالمأثور فأطنبنا فى وصفه وأطلنا الكلام عليه، فهنا كذلك سنعتبر الكشاف للزمخشرى القمة العالية للتفسير الاعتزالى، لأنه الكتاب الوحيد من تفاسير المعتزلة الذى وصل إلينا متناولا للقرآن كله، وشاملا للأفكار الاعتزالية التى تتصل بالقرآن الكريم باعتباره أصل العقيدة ومعتمد ما يتشعب عنها من آراء وأفكار، ولهذا أرانى مضطرا إلى الإطناب والإفاضة فى كلامى عن هذا التفسير، ودراستى له من جميع نواحية بمقدار ما يفتح الله[2].

3. وقال الرازي فى تفسيره مفاتح الغيب:

مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة هو قول تعالى : ويؤمنون به فإن قيل : فأي فائدة فى قوله : ويؤمنون به فإن الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن إلا وقد سبق الإيمان بالله ؟

قلنا : الفائدة فيه ما ذكره صاحب " الكشاف "، وقد أحسن فيه جدا فقال :

---

[2]. *التفسير والمفسرون* للذهبى، القاهرة : دار الحديث (1426هـ) ج 1 ص 373.

إن المقصود منه، التنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش !! لكن حلة العرش والحافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه، ولما كان إيمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء، لأن الإقرار بوجود شيء حاضر مشاهد معاين لا يوجب المدح والثناء، ألا ترى أن الإقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء، فلما ذكر الله تعالى إيمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم، علم أنهم آمنوا به بدليل أنهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك، ورحم الله صاحب " الكشاف " فلو لم يحصل فى كتابه إلا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا[3].

4. وقول ابن بشكوال فى مقدمة تفسير أبى حيان، مقارنة للحافظ أبى القاسم بن بشكوال، بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشرى، ووصفا دقيقا وتحليلا عميقا لكتاب الكشاف يقول فيها :

وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشرى ألخص وأغوص، إلا أن الزمخشرى قائل بالطفرة، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة، فربما سنح له آبى المقادة فأعجزه اعتياصه، ولم يمكنه لتأنيه اقتناصه، فتركه عقلا لمن يصطاده، وغفلا لمن يرتاده، وربما ناقض هذا المنزع، فثنى العنان إلى الواضح والسهل اللائح، وأجال فيه كلاما، ورمى نحو غرضه سهما، هذا مع ما فى كتابه من نصرة مذهبه، وتقحم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه، ونسبة ذلك إليه، فمغتفر إساءته لإحسانه، ومصفوح عن سقطه فى بعض، لإصابته فى أكثر تبيانه[4].

---

[3]. *مفاتح الغيب* لفخر الدين الرازي، دار الفكر (1401هـ)ص 488.

[4]. *البحر المحيط* لأبو حيان، دار الكتب العلمية (1413هـ) ج 1 ص 10.

5. وقال الشيخ حيدر الهروى فيكشف الظنون :

فإن كتاب الكشاف كتاب علي القدر رفيع الشأن لم ير مثله فى تصانيف الأولين، ولم يرد شبيهه فى تآليف الآخرين، اتفقت على متانة تراكيبه الرشيقة كلمة المهرة المتقنين واجتمعت على اسن أساليبه الأنيقة ألسنة الكلمة المفلقين، ما قصر فى قوانين التفسير وتهذيب براهينة، وتمهيد قواعده وتشييد معاقده، وكل كتاب بعده فى التفسير، ولو فرض أنه لا يخلو عن النقير والقطمير، إذا قيس به لا تكون له تلك الطلاوة، ولا يوجد فيه شيء من تلك الحلاوة، على أن مؤلفه يقتفى أثره، ويسأل خبره، وقلما غير تركيبا من تراكيبه إلا وقع فى الخطأ والخطل، وسقط من مزالق الخبط والزلل، ومع ذلك كله إذا فتشت عن حقيقة الخبر, فلا عين منه ولا أثر. ولذلك قد تداولته أيدى النظار، فاشتهر فى الأقطار، كالشمس فى وسط النهار، إلا أنه لإخطائه سلوك الطرق الأدبية، وإغفاله عن إجمال أرباب الكمال، أصابته عين الكلالة، فالتزم فى كتابه أمورا أذهبت رونقه وماءه، وأبطلت منظره ورواءه، فتكدرت مشارعه الصافية، وتضيقت موارده الضافية، وتزلزلت رتبه العالية.

منها : أنه كلما شرع فى تفسيره آية من الآية القرآنية مضمونها لا يساعد هواه, ومدلولها لا يطاوع مشتهاه، صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة، وتعسفات جامدة، وصرف الآية بلا نكتة بلاغية لغير ضرورة عن الظاهر، وفيه تحريف لكلام الله سبحانه وتعالى، وليته يكتفى بقدر الضرورة، بل يبالغ فى الإطناب والتكثير. لئلا يوهم بالعجز والتقصير، فتراه مشحونا بالاعتزالات الزاهرة التى تتبادر إلى الأفهام، والخفية التى لا تسارق إليها الأوهام، بل لا يهتدى إلى حبائله إلا وراد بعد وراد من الأذكياء الحذاق، ولا ينتبه لمكائده إلا واحد من فضلاء الآفاق، وهذه آفة عظيمة ومصيبة جسيمة.

ومنها : أنه يطعن فى أولياء الله المرتضين من عباده، ويغفل عن هذا الصنيع لفرط عناده، ونعم ما قال الرازى فى تفسير قوله تعالى :" يحبهم ويحبونه " المائدة : 54، خاص صاحب الكشاف فى هذا المقام فى الطعن فى أولياء الله تعالى، وكتب فيها ما لا يليق بعاقل أن يكتب مثله فى كتب الفحش، فهب أنه اجترأ على الطعن فى أولياء الله تعالى، فكيف اجتراؤه على كتبه ذلك الكلام الفاحش فى تفسير كلام الله المجيد.

ومنها : أنه أورد فيه أبياتا كثيرة وأمثالا غزيرة بنى على الهزل والفكاهة أساسها، وأورد على المزاج البارد نبراسها، وهذا أمر من الشرع والعقل بعيد لا سيما عند أهل العدل والتوحيد.

ومنها : أنه يذكر أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية بعبارات فاحشة، فتارة يعبر عنهم بالمجبرة، وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد، وهذه وظيفة السفهاء الشطار، لا طريقة العلماء الأبرار[5].

6. **وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط** لقوله تعالى فى الآية 49 من سورة النمل " قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون " يتعقب الزمخشرى فى تفسيره لقوله تعالى " وإنا لصادقون " ثم يصفه بقوله : وهذا الرجل وإن كان أوتى من علم القرآن أوفر حظ، وجمع بين احتراع المعنى وبراعة اللفظ، ففى كتابه فى التفسير أشياء منتقدة، وكنت قريبا من تسطير هذه الأحرف قد نظمت قصيدا فى شغل الإنسان نفسه بكتاب الله، واستطردت إلى مدح كتاب الزمخشرى، فذكرت أشياء من محاسنة، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه، ورأيت

[5]. *كشف الظنون*لمصطفى بن عبد الله، بيروت : دار احياء التراث ج 2 ص 176 – 177.

إثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابى هذا، ويتنبه على تضمنه من القبائح، فقلت بعد ذكر ما مدحته به :

ولكنه فيه مجال الناقد وزلات سوء قد أخذن المخانقا

فيثبت موضوع الأحاديث جاهلا ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا

ويستم أعلام الأئمة ضلة ولا سيما إن أولجوه المضايقا

ويسهب فى المعنى الوجيز دلالة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا

يقول فيها الله ما ليس قائلا وكان محبا فى الخطابة وامقا

ويخطىء فى تركيبه لكلامه فليس لما قد ركبوه موافقا

وينسب إبداء المعانى لنفسه ليوهم أغمارا وإن كان سارقا

ويخطى فى فهم القرآن لأنه يجوز إعرابا أبى أن يطابقا

وكم بين من يؤتى البيان سليقة وآخر عاناه فما هو لاحقا

ويحتال للألفاظ حتى يديرها لمذهب سوء فيه أصبح مارقا

فيا خسره شيخ تخرق صيته مغارب تخزيق الصبا ومشارقا

لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مرافقا[6]

وأحسب أن القارئ لا يفوته أن يدرك ما فى الوصف من قسوة على الزمخشرى، وما فيه من اتهامه بقلة بضاعته فى البيان والعربية، مع أنه سلطان هذه الطريقة فى التفسير غير مدافع.

---

[6]. *البحر المحيط* لأبو حيان، دار الكتب العلمية (1413هـ) ج 7 ص 85.

7. وقال ابن خلدون فى كتابه مقدمة ابن خلدون :

ولم يبد مفسر نشاطا واجتهادا أكثر من الزمخشري فى بيان الإعجاز البلاغي لنظم القرآن. ويعلل ابن خلدون تلك الظاهرة الأدبية التاريخية المتجلية فى عناية أهل المشرق بفن البيان العربى أكثر من المغاربة، بأن الناس فى المشرق، على خلاف المغاربة يعنون بتفسير الزمخشري، وهو كله مبنى هذا الفن، وهو أصله[7].

ويقول ابن خلدون أيضا عندما تكلم عن القسم الثانى من التفسير، وهو ما يرجع إلى اللسان، من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، فيقول :

ومن احسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشرى من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد، فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له فى آية القرآن من طرق البلاغة، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للمجهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه وافقا مع ذلك على المذاهب السنية، ومحسنا للحجاج عنها، فلا جرم أنه مأمون من غوائله، فتغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللسان، ولقد وصل إلينا فى هذه العصور تأليف كتاب الزمخشرى هذا، وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه فى الاعتزال بأدلة تزيفها، وتبين أن البلاغة إنما تقع فى الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن فى ذلك ما شاء، ما إمتاعه فى سائر فنون البلاغة، وفوق كل ذى علم عليم "[8].

---

[7]. *مقدمة ابن خلدون* لمحمد بن خلدون ولي الدين، دار يعرب (1425هـ) ص 549 (ط بولاق 1321هـ).

[8]. المصدر السابق ص 491.

8. **ويقول الزرقانى فى كتابه مناهل العرفان فى علوم القرآن:**

يذكر الزرقانى مميزات الكشاف على خمسة الأمور :

1) أقل من الإسرائيليات

2) أنه نهج أسلوب الإختصار

3) فى شرح كل الكلمة يشرح باللغة احسن

4) يتأثر كثير فى المسألة البلاغية إما معانية أو بيانية

5) أنه نهج أسلوب السؤال والجواب[9]

9. **واما محمد عبده حينما يتكلم عن وجوه التفسير فى كتابه فقال :**

النظر فى أساليب الكتاب معانيه، وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتياز على غيره من القول. سلك هذا المسلك " الزمخشري " وقد ألم بشيء من المقاصد الأخرى، ونحا نحوه آخرون[10]. أثناء مقام الأستاذ الإمام، منفيا عن مصر، فى بيروت، زار المدرسة " الخاتونية " بمدينة " طرابلس " الشام، وكان الشيخ رشيد رضا لا يزال تلميذا بها، فسأل التلميذ رشيد رضا الأستاذ الإمام عن " أي التفاسير أنفع لطلبة العلم "؟ فأجاب الإمام : " الكشاف " فقال الشيخ رشيد : " ولكن فيه كثيرا من نزعات الإعتزال "؟! فأجاب الإمام : " مسائل معروفة، لا تخفى على طالب التفسير، الوافق على أقوال الفرق ومذاهب السنة فيها "[11].

---

[9]. *مناهل العرفان فى علوم القرآن* للزرقانى بيروت : دار الكتاب العربى (1415ه).

[10]. *الأعمال الكامل* لمحمد عبده، بيروت : دار الشروق (1414ه) ج 1 ص 8.

[11]. قول محقق فى تفسير محمد عبده ج 1 ص 8.

10. ونظام الدين عن الكشاف :

أنه يتضمن حاصل التفسير الكبير للرازي وجامع لأكثر التفاسير وجل كتاب الكشاف واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة الغريبة مما لم يوجد فى سائر التفاسير، أما الأحاديث فإما من الكتب المعتبرة وإما من الكشاف والكبير إلا الأحاديث الموردة فى الكشاف من فضائل السور فإنا قد أسقطناها لأنه النقاد زيفوها إلا ما شذ منها. وأثبت القراءات المعتبرة. والوقوف المعللات ثم التفسير مع إصلاح ما يجب إصلاحه وإتمام ما ينبغى إتمامه من المسائل الموردة فى الكبير ومع حال يوجد فى الكشاف سوى الأيات المعقدات فإنه يوردها من الظن أن تصحيح القراءة وغرائب القرآن إنما يكون بالأمثال[12].

الفصل الثانى : الأراء الناقدة لتفسير الكشاف

1. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وأما " الزمخشري " فتفسيره محشو بالبدعة وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن ، وأنكر أن الله مريد للكائنات وخالق لأفعال العباد ، وغير ذلك من أصول المعتزلة. وهذه الأصول حشا بها كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها ولا لمقاصده فيها ، مع ما فيه من الأحاديث الموضوعة ، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين " انتهى من "مجموع الفتاوى"13/ 386 ، 387.

[12]. انظر *تفسير النيسابوري على هامش تفسير الطبري*لإبراهيم بن المنذر النيسابوري، دار المآثر (1423هـ) ج 1 ص 4-6.

وكالزمخشري وغيرهم من المفسرين الذين يذكرون من الأحاديث ما يعلم أهل الحديث أنه موضوع " انتهى من "منهاج السنة النبوية (91/7).

وقال رحمه الله – أيضاً – : " ومثل هذا لا يرويه إلا أحد الرجلين : رجل لا يميِّز بين الصحيح والضعيف والغث والسمين ، وهم جمهور مصنفي السيَر والأخبار وقصص الأنبياء كالثعالبي والواحدي والمهدوي والزمخشري. وأمثالهم من المصنِّفين في التفسير ، فهؤلاء لا يعرفون الصحيح من السقيم ولا لهم خبرة بالمروي المنقول ولا لهم خبرة بالرواة النقل بل يجمعون فيما يروون بين الصحيح والضعيف ولا يميزون بينهما " انتهى من "الرد على البكري "1/ 73.

2. **وقال الشيخ العلامة تاج الدين السبكي رحمه الله :**

" واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه ، ومصنفه إمام في فنه ، إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته ، يضع من قدر النبوة كثيرا ، ويسيء أدبه على أهل السنة والجماعة ، والواجب كشط ما فيه من ذلك كله.

ولقد كان الشيخ الإمام [يعني : والده الإمام تقي الدين السبكي] يقرئه ، فلما انتهى إلى الكلام على قوله تعالى في سورة التكوير : (إنه لقول رسول كريم) الآية أعرض عنه صفحا ، وكتب ورقة حسنة سماها : سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف ، وقال فيها :قد رأيت كلامه على قوله تعالى : (عفا الله عنك) ، وكلامه في سورة التحريم في، وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها

على خير خلق الله تعالى, سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم ، مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة[13].

فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برز في جميع العلوم في حق الكتاب الذي اتخذت الأعاجم قراءته ديدنها.

والقول عندنا فيه : أنه لا يسمح بالنظر فيه إلا لمن صار على منهاج السنة ، لا تزحزحه شبهات القدرية" انتهى من "معيد النعم ومبيد النقم "80-81.

3. قال عبد الكريم الخضير فى كتابه شرح الميمية لابن تيمية :

يقول بعض أهل العلم: إنه يورد الشبه نقد ويرد عليها نسيئة وكتابه مشحون بهذه الشبه وتفسير الزمخشري فيه أيضًا من البدع والشبه ما لا يستطيع رده كثير من أهل العلم فضلاً عن طلاب العلم، ووجد من أهل العلم –ولله الحمد– من يبين هذه الشبه وهذه البدع وتتبعوها بالمناقيش[14].

4. ويقول فضيلة الدكتور أبو شهبة – رحمه الله – :

المعتزلة من أعظم الناس كلاماً وجدالاً، وقد صنفوا تفاسيرهم على أصول مذهبهم، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم، شيخ إسماعيل بن عليه، الذى كان يناظر الشافعى، ومثل كتاب أبى على الجبائى، والتفسير الكبير للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى والكشاف لأبى القاسم الزمخشرى . والمقصود : أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً، ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم

---

[13]. *النماذج الخيرية* ص 310.

[14]. أنظرشرح *الميمية* لابن تيمية لعبد الله بن عبدالرحمن الجبرين الباب الشريط الاول ج. 1 ص.25.

سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين فى رأيهم، ولا فى تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين : تارة من العلم بفساد قولهم، وتارةً من العلم بفساد ما فسروا به القرآن. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً، ويدس السم فى كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى أنه يروج على خلق كثير من أهل السلف، كثير من تفاسيرهم الباطلة[15].

ولا يقف خطر أصولهم عند تأويلهم القرآن الكريم مما لم ينزل به الله سلطاناً، وإنما كان لهذه الأصول خطرها الأعظم على السنة المطهرة، فما تعارض من الأحاديث الصحيحة مع هذه الأصول، إما يؤولونه تأويلاً يشبه الرد، وإما يصرحون بالرد بحجة أن الخبر آحاد، والآحاد لا يحتج بها فى العقائد, وهم فى كل ذلك يتطاولون على رواة السنة ويطعنون فيهم سواء من صحابة رسول الله رضي الله عنهم أو من التابعين، فمن بعدهم من أئمة المسلمين.

وفى مواقف المعتزلة من الكتاب والسنة والصحابة، وجد أعداء الإسلام وأعداء السنة المطهرة، ثغرات يلجون منها فى الكيد لدين الله عزَّ وجلَّ – قرآناً وسنة – بما وجدوه من ثروة طائلة من السخافات والمثالب، فصوروا الإسلام فى صورة الخرافات، وطعنوا بدورهم فى أئمة المسلمين وتاريخهم وحضارتهم المجيدة، وقد اغتر بهم الجهلة فى عصرنا الحاضر ونسجوا على منوال أساتذتهم، ورموا علماء المسلمين فى كل عصر بكل نقيصة وبهتان، والله يشهد إنهم لكاذبون[16].

---

[15]. *الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير* لمحمد أبو شهبة، مكتبة السنة (1408هـ) ص 114، 115.

[16]. انظر*الحديث والمحدثون* للدكتور محمد أبو زهو(1378هـ) ص 332 بتصرف، والسنة ومكانتها فى التشريع ص142، والضوء اللامع المبين عن *مناهج المحدثين* للدكتور أحمد محرم الشيخ ناجى 1 /189-196.

5. قال عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين فى كتابه شرح العقيدة الطحاوية :

وهناك من المعتزلة من ينفي الصفات فينفون القدرة والعلم والكلام وما أشبهها، وينفون أن الله تعالى يرى، ويزعمون أن من أثبت شيئاً من ذلك فإنه مشبه. ومنهم من المفسرين الزمخشري صاحب الكشاف –التفسير المطبوع– فإنه معتزلي ممن يقول بخلق القرآن، وممن يقول بأن الله لا يُرى في الآخرة، ولما كان أهل السنة يقولون: إن الله تعالى يرى بلا كيف، أو أنه ينزل بلا كيف، أو استوى على العرش بلا كيف، لم يوافقهم على ذلك وادعى أنهم مشبهة لهذا الفعل، وفي ذلك بيته المشهور الذي يقول فيه: قد شبهوه بخلقه فتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة يعني تستروا بقولهم: بلا كيف وإلا فقد شبهوه، تعالى الله عن قوله.

6. قال كاملة الكواري فى كتابه شرحة نونية القرني :

واعلم أن الغزالي أمات الدين بإحياءه وان ابن سينا أمرض القلوب بشفائه وأن الزمخشري أظلم الجو بكشافه وأن أبا الفرج الأصفهاني كدر النفوس بأغانيه وغناءه ، وأحذر من مزالق الجاحظ في تأليفه ومن سقطات كل مبتدع في تصانيفه[17].

7. وقد قال العلامة حمد بن عتيق رحمه الله كما في (الدرر السنية) (10/ 15):

ومن أبلغ الناس بحثاً في المعاني الزمخشري، وله في (تفسيره) مواضع حسنة، ولكنه معروف بالاعتزال، ونفي الصفات، والتكلف في التأويلات الفاسدة، والحكم على الله بالشريعة الباطلة، مع ما هو عليه منن بة السلف، وذمهم، والتنقص بهم، وفي تفسيره عقارب لا يعرفها إلا الخواص من أهل السنة، وقد قال فيه بعض العلماء:

---

[17]. شرح *نونية القرني* كاملة الكواري الباب الجزء الرابع ج. 6 ص. 41.

ولكنه فيه مقال لقائل وزلات سوء قد أخذن المخانقا

ويسهب في المعنى القليل إشارة بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا

يقول فيها الله ما ليس قائلاً وكان ممجًا في الخطابة وامقاً

ويشتم أعلام الأئمة ضلة ولا سيما إن أولجوه المضائقا

لئن لم تداركه من الله رحمة لسوف يرى للكافرين مرافقا

والمقصود أن الاعتماد على مثل أقوال هؤلاء لا يليق بالمحقق لا سيما فيما يتعلق بمعرفة الله وتوحيده وأنت ترى مثل محمد بن جرير الطبري وأقرانه ومن قبله ومن يقربه في زمانه لم يعرج على هذه الأمور وكذلك المحققون من المتأخرين كابن كثير ونحوه . وكما هو المأثور عن السلف رحمهم الله تعالى وما استنبطوا منه [18].

8. قال الإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير فى كتابه الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم:

أنّ الزّمخشريّ، وإن كان صالحاً عند أهل الحديث في نفسه، فهو عندهم داعية إلى الاعتزال، ير معروف بتحريم الرّواية عن المجاهيل في الحديث، دع عنك اللّغة، بل قد روى الموضوعات في ((كشّافه)) في فضائل السّور، مع الإطباق أنّه من أئمة اللّغة والعربيّة, والرّجوع إلى مصنّفاته في

[18]. *قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ويليه كتاب مسائل الجاهلية* لمحمد صديق حسن خان القنوجي والإمام محمد بن عبد الوهاب (2009) ج. 1 ص 24 الباب ترجمة المصنف.

ذلك،وهذا يدلّ على ما ذهب إليه أبو عمر بن عبد البرّ من حمل كلّ صاحب علم معروف العناية فيه على السّلامة في علمه حتّى يتبيّن جرحه[19].

9. قال عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي فى كتابه المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد :

عارضة أولئك للآيات المحكمات البينات التي هي في غاية البيان والبرهان وبيان ما ينافي التوحيد من الشرك والتنديد عارضوا بقول أناس من المتأخرين لا يجوز الاعتماد عليهم في أصول الدين فيقولون قال ابن حجر الهيثمي: قال البيضاوي: قال فلان: ولا ريب أن الزمخشري وأمثاله من المعطلة أعلم من هؤلاء وأدري في فنون العلم لكنهم أخطأوا كخطأ هؤلاء وفي تفسير الزمخشري من سائس الاعتزال ما لا يخفى وليسوا بأعلم منه وعلى كل حال فليسوا بحجة يعارض بها نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها من الدين الحنيف الذي هو ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ودين الرسل الذي قال الله تعالى في سورة الشورى : 13 {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} فأولئك المعارضون للحق بمن ذكرنا وأمثالهم فيهم شبه بمن قال الله فيهم: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ*قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

[19] .*الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم*للإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع (2011م) ج.1 ص.103 الباب الروض الباسم.

(الزحرف :23-24} وهذا على تقدير أنهم أصابوا في النقل عنهم ولعلهم أخطئوا وكذبوا عليهم والله أعلم[20].

10. قال أبوعبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي فى كتابه ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر :

وقد قرأت كثيراً في كتب الشيعة وفي "كشاف" الزمخشري فوجدت هذا بخلاف أهل السنة، فإنّهم يحكمون على الحديث بما تقتضيه الصناعة الحديثية، فرب حديث يكون مندرجًا تحت أصل ولا يمنعهم هذا من أن يحكموا على الحديث بأنه ضعيف أو موضوع، وربّ راو يكون رأسًا في السنة فلا يمنعهم هذا من القول بتضعيفه إذا كان ضعيفًا، فرحمهم الله وجزاهم الله خيراً على نصحهم وإنصافهم واتباعهم الحق أينما وجدوه[21].

11. قال صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان فى كتابه إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد :

و"تفسير الزمخشري" وفيها من الخلط، وفيها مر الشر الشيء الكثير، وإن كان فيها فوائد، "تفسير الزمخشري" فيه فوائد لغوية، وأسرار بلاغية، وبيان لتفسير الألفاظ من جهة اللغة، فهو جيد من هذه الناحية، ولكنه من ناحية العقيدة ومن ناحية التأويل يشتمل على كثير من الشر والقول بخلق القرآن، فهو من هذه الناحية تفسير مختلط، لا يصلح أن يطالع فيه إلاّ طالب العلم المتأصّل

---

[20]. *المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد* لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (1935هـ) ج. 1 ص. 300 الباب المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد.

[21]. أنظر *ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر* لأبوعبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، صنعاء : دار الاثر (1420هـ)ج. 1 ص.50 الباب ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر.

من أجل أن يأخذ ما فيه من الفوائد، ويترك ما فيه من الأباطيل، أما المبتدئ والجاهل فلا يصلح أن يطالع في تفسير الزمخشري.

إنما التفاسير الموثوقة هي التفاسير المبنية على كلام الله عزّ وجلّ على قواعد التفسير المعروفة: تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنّة، أو تفسير القرآن بأقوال الصحابة، أو تفسير القرآن بمقتضى اللغة العربية، هذه وجوه التفسير.أما أن يُدخل فيها علم الكلام وعلم المنطق، فهذا ليس من التفسير.

وكل مفسر له اتجاه، بعضهم يتجه إلى النحو كأبي حيّان، وبعضهم يتجه إلى البلاغة كالزمخشري، وبعضهم يتجه إلى الأحكام الفقهية كالقرطبي[22].

12. قال سفر بن عبدالرحمن الحوالي فى كتابه شرح العقيدة الطحاوية :

ومحمود جار الله الزمخشري صاحب كتاب الكشاف الذي هو مليء بالاعتزاليات، ولأن الاعتقادات الضالة التي فيه، قد يأخذها الإنسَان وهو لا يريد الضلال، ولكنه يقع في الضلال ويوقع غيره فيه؛ لأنه ينقل عن أمثال هَؤُلاءِ الذين يعتبرون أن أهْل السُّنّةِ وَالْجَمَاعَةِ والأئمة الأربعة مشبهة . نعم لا بأس أن يؤخذ عنهم بعض المعاني اللغوية، أو بعض المعاني البلاغية التي لا علاقة لها بالعقيدة، ولا تتعارض معه، لكن أن يرجع إليهم في فهم آيات كتاب الله –وخاصة في فهم آيات الصفات– فهذا لا يجوز أبداً[23].

---

[22]. *إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد* لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (1434ه) ج.1 ص. 303ـ304 الباب الحادى والعشرون : الغلو.

[23].*شرح العقيدة الطحاوية* لسفر بن عبدالرحمن الحوالي ج. 1 ص. 197 باب الاسماء والصفات.